The Social Adventure in Talib Al-Rifai's Novel Kidnapping the Beloved

Prof. Dr. Ishraq Sami Abdul-Nabi
University of Basrah / Center for Basrah and Arabian Gulf Studies
E-mail: abbas.al-mawla@uobasrah.edu.iq

Abstract:

Talib Al-Rifai's novel Kidnapping the Beloved addresses several contemporary social issues in a smooth and subtle artistic style. Yet, it carries ideas that challenge societal norms, embodying a social adventure that aligns with Lukács' conception of the novel as an art form of society, one that reflects and expresses all its contradictions. The novel is a bourgeois epic representing and embodying values.

The narrative structure relies on two primary movements. The first, and more dominant, forms a personal adventure driven by thoughts and anxieties, ultimately leading to particular behaviors. This self-driven adventure is woven from multiple threads: emotions and love, fatherhood and family, social class, and travel. The second movement unfolds through encounters with "the other," manifesting in tensions with those of different sects, the rigidly conservative, and the woman as the other.

Key words: novel, social adventure, Kidnapping the Beloved, the other, Talib Al-Rifai.

المغامرة الاجتماعية في رواية خطف الحبيب لطالب الرفاعي

أ.د. إشراق سامي عبدالنبي
جامعة البصرة / مركز دراسات البصرة والخليج العربي
E-mail: abbas.al-mawla@uobasrah.edu.iq

الملخص:

تناولت رواية خطف الحبيب للكاتب الكويتي طالب الرفاعي عدة قضايا اجتماعية معاصرة بأسلوب فني سلس وهادئ. لكنه يحمل أفكاراً تجرأت على الثوابت الأمر الذي وجدت فيه مغامرة اجتماعية منسجمة مع تصورات لوكاتش عن الرواية، وأنها فنّ المجتمع التي تتبنى التعبير عن كل تناقضاته؛ فالرواية ملحمة برجوازية تعبّر عن القيم وتمثلها.

ويعتمد مسار الحكاية على حركتين الأولى، وهي الأكثر هيمنة كانت تشكل مغامرة ذاتية تسوقها الأفكار والهواجس التي تقود بالنهاية إلى سلوك معين، الذات ارتبطت بحبكة نشأت من عدة خيوط هي خيط المشاعر والحب، وخيط الأبوة والعائلة، وخيط الطبقة الاجتماعية وخيط السفر. فيما كانت المغامرة عبر الآخر تشكّلت عبر توترات بين الآخر المختلف مذهبياً، والآخر المتشدد، والآخر المرأة.

الكلمات المفتاحية: رواية، مغامرة اجتماعية، خطف الحبيب، الآخر، طالب الرفاعي

المقدمة:

يفترض هذا البحث وجود علاقة أصيلة بين النص الروائي والسياق الاجتماعي، ويركز على نظرية لوكاش التي تميّز فيها عبر إشارته إلى مفهوم الانعكاس، فالعمل الروائي هو فكرة اجتماعية منعكسة في عين الكاتب يمثّلها بصورة تتيح للمتلقي اكتساب الوعي من خلال إدراك حقيقة العالم الذي يحيط به؛ فالواقعية من وجهة نظره تأخذ بنظر الاعتبار الأبعاد الاجتماعية والأخلاقية دون أن يتجاوز العالم الداخلي والذاتي للشخصيات في الرواية. وثمة تناظر دائم في كل عمل ابداعي بين الواقع الفني والواقع الاجتماعي.

وهذا ما يمنح الذات الإنسانية قيمتها عبر وجودها داخل السياق الاجتماعي؛ إذ يؤكد لوسيان غولدمان أن الذات الاجتماعية تتحد بطريقة أعمق وأكبر من الفردية عبر انتظامها في طبقة أو تصنيف اجتماعي معين داخل العمل الروائي. وهذه الذات الاجتماعية هي من تمسك بمسارات الحكي لمصلحة الفكرة، فإذا حاولت التمرد على تلك المسارات يمكن هنا أن نؤشر ما يسمى المغامرة الاجتماعية.

إن الأدب يعكس تصوراتنا عن العالم؛ فهو تشكيل خطابي يمتد لنموذج مرجعي يعنى بالعالم، وبالتجارب الواقعية عبر الوعي الإنساني في الرواية التي تتخذ تصوراً انطلاقاً مما تؤمن به من تفسير الوجود أو محاولة الاجابة عن الأسئلة الحادة والمصيرية التي تدور ببال الإنسان على مدى الأزمنة؛ فالصراع بين الفرد والمجتمع هو محور الرواية.

ملخص رواية خطف الحبيب

بطل الرواية يعقوب هو تاجر كويتي ستيني العمر، تداهمه مشكلتان: الأولى عاطفية والثانية تخص دخول ابنه أحمد إلى جماعات إرهابية متشددة. ويعد هذا الانتقال محوراً مركزياً في الرواية، يسبب فيما بعد عدة أحداث أهمها سفره إلى إيران بحثاً عنه، هذه السفره ستكون بمساعدة ضابط شاب هو شقيق الفتاة الإيرانية التي أحبها يعقوب، فرناز موظفة بعمر بناته مقيمة في الكويت، لكنه يشعر بعاطفة قوية تجاهها.

تتحرك الرواية في ثنائية متناقضة: حب مع شيعية وولد مع إرهاب متطرف. وهذا التداخل بين مشكلة أحمد الابن الأقرب إلى قلب البطل، وبين وقوعه في الغرام في عمر متأخر هي من خلقت حبكة الرواية، وفتحت أفقاً إشكالياً .

المبحث الأول : مغامرة عبر الذات

تقوم رواية خطف الحبيب على لحظة مراجعة يتبناها البطل يعقوب؛ إذ تبدو اللحظة الراهنة لديه وسيلة اتخذها للنظر إلى ما تقدم من عمره وهو يبالغ من خلالها في تحديد الأسئلة وتوجيهها لذاته لأن "مفهوم الوعي في الصيغ الأدبيّة أو الإبداعيّة يبدو مجالًا حيويًّا، وهنا ننطلق من مفهوم الإدراك في مجال

النصّ الأدبيّ الّذي يتّخذ مبدأ التجلّي، وعكس الذات في رؤيتها لذاتها، وبناء عليه؛ فإنّ النصّ الأدبيّ يُعَدّ وسيطًا يهدف إلى تمثيل فهمنا ضمن نزعة تحليليّة؛ للوصول إلى ماهيّة العالم"(١).

الحياة التي تسير على وفق إيقاع سلس وواضح ومنتم إلى وعي جمعي يسير بمحاذاة الأمان النفسي الذي تحتاجه الذات، وعي في العمل والحياة الاجتماعية والوجود الفاعل في طبقة اجتماعية معينة، يمارس مسؤلياته كافة بانضباط عال واهمها إحساسه بالبيت والزوجة. يتحدث عن علاقته بزوجته فيقول: "سنوات كثيرة مرت على عشرتنا! ألّف كل واحد منا الآخر حتى اعتاد هيئته بنظرته ووجوده وأنفاسه وطريقة ومكان جلوسه وحركته. كبرنا ومعنا شاخت وترهلت وتعبت علاقتنا"(٢).

يمهد عبر هذه المقدمة لتلك المغامرة التي ستقتحم حياته ويجعلها في مواجهة حادة مع كل الثوابت في حياته. والمغامرة في الكتابة هي شكل أدبي معروف مبني على نوع من التجارب التي تحمل الكثير من التشويق والإثارة، والتي في العادة تكون عبر انتقال أو حركة. وإذا عدنا إلى المعنى القصصي لمصطلح المغامرة، فهناك من يسمي السرد الذي يُبنى على الارتحال واستكشاف الأماكن الجديدة، ومواجهة أحداث غير متوقَعة، وصعبة، وتتحدى قدرة الشخصية، والتغلب عليها، والعودة منها بحكايات، "سرد المغامرة"(٣).

ولابد أن تكون الشخصية التي تخوض غمار هذه التجربة تتمتع بسمات معينة، الأمر الذي يجعلها محل ثقة؛ إذ يقبل المتلقي على الاستمتاع بتلك المغامرة التي تمثل ارتحالات الشخصية الشجاعة وقدرتها على الانتصار. هذا فيما يخص المغامرة التقليدية التي اعتدنا على متابعتها في الأثر العربي القديم، لاسيما في قصص مثل السندباد أو حي بن يقظان، المغامرات التي تثير العجائبي والخيال الممتع. وفي العادة لن نلمح بها تأثيراً للشخصية داخل الأحداث؛ فهي لا تقود الوعي فيها، ولا تحاول الإجابة عن سؤال ما،"ولعل غايتها الأساسية الظفر برضا القراء، وتكريس القيم التقليدية، وعلى رأسها فوز مسعى الأشخاص المحظوظين، والحاظين بعناية إلهية، تساعدهم في ذلك قوى، غير جدهم وعقلهم ومهاراتهم، قد تصل إلى قوى الغيب، التي تتعهد الإنسان الناجح؛ فسرد المغامرة التقليدية، تمثيل لعالم دلالي محدد، يتكون من ثنائيات ثابتة هي الخير والشر، والحق والباطل، والجمال والقبح، وينتهي بتغلب طرف الخير والحق والجمال على مقابله. ولا يحصل أن تتغير هذه النتائج"(٤).

هذا فيما يخص المغامرة التقليدية في السرد، لكن المغامرة الاجتماعية هنا تعتمد على شخصية تتصل بالواقع، وتبحث عن مكان قيمي واضح، فيه يحاول الإجابة عن أسئلة وجودية؛ فالرواية من منظور لوكاتش هي حيز نوعي يطرح على طريقته الأسئلة الفلسفية، فكأنما الرواية لا تستقيم دون الفلسفة التي تعد عنصراً أصيلا فيها"(٥).

تقترب رواية خطف الحبيب من هذه الفكرة عبر مراجعة الذات ومحاولة النظر إلى مجمل حياة البطل يعقوب، من لحظة مفصلية تمثلت بانضمام ولده الأقرب لنفسه إلى المجاميع الإرهابية والقتال في العراق.

هذه اللحظة التي جعلت من الواقع الثقيل مبرراً للمراجعة والتأمل: "بتوافق صامت، انصرفت أنا لانشغالاتي، وقبلت هي راضية ومتفهمة طبيعة عملي. أطمأن قلبي لزوجة تحبني وتخلص لي. أراحتني نظرة الرضا التي تعلو محياها، وسرني انقيادها. لكني الآن أدرك إنني كنت مخطئاً! أطمئنان قلبي أطفأ لهفتي، وزين لي انشغالي ببعدي وأمرض علاقتي بزوجتي"(٦).

يعاد إنتاج الوعي عبر وجهة نظر البطل. لكن هذه الرواية متعددة الأصوات فيمكن لنا أن نميز صوت زوجة يعقوب شيخة، وعشقيته فرناز، وابنه أحمد. وهكذا عبر انتقال يوظف فيه الاختلاف في وجهات النظر لزيادة الوعي، هذا الوعي لا يجيء عبر تجربة خيالية مدهشة، أو عبر انتقال حاد في طرائق الحياة، وإنما عبر إثارة الأسئلة والإجابة عنها؛ فالمغامرة الاجتماعية تفترض مسارات نفسية واجتماعية محددة للشخصيات، التي تحاول التمرد عليها عبر لحظة توقف ومراجعة، فهذا النوع من الكتابة الروائية لا يريد أن يستكشف جديداً، ولا يدفعه الفضول إلى معرفة الجديد، وتقديمه للقارئ، وإنما يدفعه الرغبة في إثبات صحة وجهة نظر الشخصية الرئيسة، وما تؤمن به"(٧).

المغامرة في الأدب:

المغامرة في الأدب هي قصة تحوي قراراً شجاعاً بكسر المختلف والمألوف ومغادرة منطقة آمنة معتاد عليها. وعادة ما كانت تلك الاعمال تحتفي بذلك عبر تغيير المكان وركوب البحر مثلاً. ولعلنا نتذكر تلك الروايات التي كانت تكتب للفتيان في مرحلة عمرية معينة حيث يواجه بطل الحكاية الصعاب، ويدخل في مغامرة حادة تختلف بايقاعها ومكانها وبطريقة تعاملها مع الزمان مع ماكان معتاداً قبلها.

لكن المغامرة الاجتماعية في الرواية فكرة تقوم على مراجعة القيم الثابتة التي اختطها البطل لحياته؛ إذ تعبر عن تغير في فلسفته ورؤيته للحياة ومحاولة فتح الباب لنسخة شخصية جديدة منه لم تكن موجودة سابقاً. حتى أن توظيف مثل هذه التجربة العاطفية داخل الرواية لم يكن مقنعاً على وفق المنطق الواقعي للرواية:"أدرك الرفاعي أن الصدفة الروائية ستكون تهمة سردية واقعة لا محالة على نصه أن لم يبرر وجود الفتاة فرناز في حياة المليونير، فاستعمل احتمال وقوع المليونير الستيني بالحب غطاء لصدفة روائية كانت لتشكل ضعفاً سردياً هائلاً لديه، ومن يتابع شخصية المليونير يعقوب المصقولة بتمكن، يدرك أنها ليست نموذجاً معقولاً لرجل يغرم ويركض خلف أهوائه، ويختار فتاة عشرينية ليخوض معها مغامرة عاطفية"(٨).وأدغال وقد تكون وعرة المسالك. أما صفات البطل أو الشخصية الرئيسة فتتسم بالقوة، والشجاعة، والصبر، والذكاء، ورجاحة العقل"(٩).

لقد دارت طرائق تعبير البطل يعقوب عن تلك المواجهة الحادة بينه وبين الواقع الذي تغيّر، عبر منلوج داخلي طويل:" يعقوب! حدثت نفسي، تعجب بفتاة ايرانية لا تعرفها، وولدك يقاتل ضد إيران في

سوريا والعراق! اركد يا يعقوب اركد !انصت جيداً، فأنت لا تعلم ما خلفها، ولك أن تتبع أثرها. ابدأ رحلتك، علك تصل إلى مراد قلبك، والخوف كله أن تضيع"(١٠).

يعرف يعقوب أنها رحلة، مغامرة ضد المجهول، سير نحو طرق غير آمنة، وهو الرجل المكتمل السمعة في مجتمع لا يبيح تلك المشاعر، تاجر ورب أسرة وإنسان معروف بالتوازن والحكمة يواجه مأزق مشاعر غريبة تضرب حياته وتهدد استقرارها: "وفجأة رأيتها تدخل مع زميلة لها وثلاثة رجال، التقت عيني بعينيها، فشعرت بأن صاعقاً مرّ برقبتي فهزني، بدت أطول مما تخيلت بجسم منحوت، وخصر واضح . بهدوء اعتدلت في جلستي، لأخبىء رائحة اهتمامي من عثمان"(١١).

هذه المغامرة تبدأ من الذات وتعود إليها؛ لذا كانت وسيلة البطل فيها هي حديث النفس (المونلوج): "إن فعالية المونولوج الداخلي تسعى إلى استحداث شكل تخييلي جديد يمكن وصفه بأنه يكون شكل تخييل لا سردي، باعتبار أن القارئ يجد نفسه منذ السطور الأولى داخل فكر الشخصية، والمجرى اللامنقطع لهذا الفكر هو الذي يرينا- بحكم أنه يقوم تماما مقام المحكي بحصر المعنى- ما تفعله الشخصية، وما يحدث لها، فنقل الأفكار يتأسس في شكل سردي مستقل يتعارض مع الاستعمال الذي يمكن أن يستعمل به نقل الأفكار في سياق ما داخل رواية يظهر فيها سارد يتكلف بتقديم ومن ثم بتوقيف مجرى الأفكار؛ ومن جهة أخرى هناك في هذا الشكل السردي"(١٢).

تقوم الرواية على فكرة التأمل عبر تجربة ذاتية عميقة هزت كيان البطل. لكنها في الوقت ذاته منحته الفرصة للبحث عن معنى الأحداث فيما بعد. يعقوب التاجر الكويتي من عائلة سنية والذي صُدم بتطرف أقرب أبنائه إلى قلبه، أحمد الذي انتمى إلى المجاميع الإرهابية وقرر القتال معهم في العراق وسوريا، وهو في هذا الظرف الملتبس تدخل فتاة إيرانية شيعية بعمر بناته حياته ليهتز كل شيء وأول تلك الأشياء علاقته بزوجته.

ومثل هذا النص سيكون غير محكوم بنظام كرونولوجي صارم بقدر ما هو محكوم بفيض عفوي للأفكار والذكريات، لعب دوراً كبيراً في أن يمتلك بنية لا- كرونولوجية موازية للبنية الكرونولوجية للحكي العادي؛ فلن يخفى على القارئ المنتبه أننا أمام ذاتية قادرة على خلق فوضى غنية وصارمة في الذاكرة سواء بالنظر إلى محكيها بصفة عامة أم عند التركيز على حلقته الأخيرة، وهذه القدرة/الكفاءة تؤكد أننا أمام ذاتية قادرة على خلق نفسها بنفسها.

تتحقق المغامرة هنا من تحدي السياق المتكرر والمألوف عبر أزمة خاصة بذات البطل تفتح باب الأسئلة وتحقق التغيير في الدلالة. وتمثلت الرواية بخيوط عدة، ربطتها حبكة واحدة:

١_ خيط المشاعر والحب

٢_ خيط الأبوة والعائلة

٣_ خيط الطبقة الاجتماعية

٤_ خيط السفر

أولاً: خيط المشاعر والحب

تمثل بهذه المشاعر المباغتة التي جعلته يراجع كل حياته العاطفية ويعيد النظر نحو زواجه، ويقف طويلاً أمام التغير الهائل الذي أصاب مشاعره بوصفه رجلاً يعيش في مجتمع تحكمه علاقات قارة بشكل محدد:"لا أعرف تحديداً متى، ربما بعد أن تجاوزت الخمسين، صرتُ اختلس النظر لجسد أي امرأة، واقرأ تضاريس جسدها بهسيس رغبتي الخفي وصرت أسال: لماذا يشتهي الرجل جسد امرأة عابرة، ويعمى عن جسد زوجته؟! وما الذي يفرق جنساً عن جنس؟!"(١٤). ثم تفاصيل ارتباطه العاطفي القوي بفرناز وهي فتاة إيرانية شابة تعمل موظفة في شركته.

ثانياً: خيط الأبوة والعائلة

وكان المحور الأساسي فيه عاطفته الجياشة تجاه ولده أحمد الذي انضم إلى مجاميع إرهابية متطرفة، يناقش الأب سبب ذلك ويراجع علاقته بولده، وكيف تم التسلل إلى عقله عبر استاذه المصري: "من لعب بأحمد، وحشا اقتناعه بعشق الدم صار المجاهد أبا الفتح الكويتي! طوال الوقت يستبيحني الهاجس: لا ذنب له. في حضننا، أنا وشيخة، نشأ وتربى، فهل قصرنا معه، وسلمناه لقمة سائغة لمتصيدي حمام المساجد، كلانا آثم باهمال سلوكه، وجعل منه إرهابياً"(١٥). يحاول الأب مراجعة النقطة المسوؤلة عن تحول ولده إلى إنسان آخر، يعبث بعقله أُناس يتخذون من التطرف الديني وسيلة لغايات معينة .

لاتحيل رواية المغامرة الاجتماعية العالم إلى ثنائيات واضحة محددة يدور الصراع بينها مثل الخير والشر والنقاء والفساد والحق والظلم. بل تهدف لفضح مفاهيم معينة، والتركيز على علاقات مختلفة تحتاج إلى إعادة نظر ومراجعة لفهم آلية اشتغالها في حياة الشخصيات.

وعلاقة الابن بالأب كانت هنا مثار مناقشة ناعمة؛ فالتربية أبعد بكثير من توفير بحبوحة العيش التي اتقنها تماما يعقوب حين وفر لأولاده مستوى معاشيا محترما لكنه يواجه نفسه بتقصيره في متابعته . تصف شيخة زوجته علاقته بالأولاد:" يعقوب سخي بالمال لكنه شحيح في عواطفه، ليس معي وحدي بل حتى مع أبنائه. أعرفه تماماً. يضطرب كثيراً لو مسّ أي أحد منهم أي مكروه"(١٦).

ثالثاً: خيط الطبقة الاجتماعية

ليس ثمة صراع واضح بين الطبقات الاجتماعية في الرواية، لكن توصيف التركيبة الاجتماعية للبطل يعقوب لم تكن بروتوكولاً شكلياً مكملاً، بل كانت محور الحكي. التاجر المعروف في الكويت، والذي تسير

حياته على وفق المعتاد بين هذه الأوساط:" فرناز وحدها جعلتني انتبه لنفسي... أكثر من أربعة عقود، وانا أعمل وأعمل، عمل يومي لا يوثر فيه صيف أو شتاء، ضيق أو سرور، إجازة أو غيرها، صحة أو مرض"(١٧).

رابعاً: خيط السفر

وهنا تدخل كل تلك المراجعات حيز التحقق والتغيير عبر اكتمال الحبكة وربط الخيوط جميعها معاً. وإذا كنا عرفنا أن السفر وتغيير المكان ومواجهة المصاعب وتحدي المجهول، هي ما ترتب على هذا النوع من الكتابة التي أسميناها مغامرة، فإن ربطنا وتحديدنا لها بالاجتماعية هنا يناسب الفكرة الجديدة الواقعية؛ فالسفر ليس لغرض الاكتشاف، وتحدي الصعاب، ولم يكن لتحقيق المعرفة، وإنما جاءت جميعها في خانة التجربة الذاتية التي تعلي من شأن الفردية وتسمح لها أن تتعرف على الحقائق التي تخصها هي أو التي تريد معرفتها هي، معارف لا يمكن اعتبارها افكارا كبرى أو شمولية، بل هي طريق صغير محفوف بالألم لمعرفة الذات أولاً:"لا أعرف كيف مرت ساعتا السفر، كنت غارقا في أفكاري وهواجسي وخوفي مما ينتظرني وظلت صورة أحمد تمسك بي، قبل قليل هبطت الطائرة في مطار طهران، كل شيء بدا جديداً عليّ. أخيراً، أنا في الجمهورية الإسلامية الإيرانية"(١٨).

يذكر البطل تفاصيل رحلته في البحث عن ولده المخطوف في إيران. يقف على لحظات الخوف، ويناقش الهواجس في مونولوج داخلي يدور معه. واصفاً الطريق ومصاعب الرحلة ومشاعر الجوع والعطش والحيرة، كلها ضمن فكرة واحدة هي التغيير الهائل في مسيرة الحياة.

المبحث الثاني:مغامرة عبر الآخر

طالما شكل الآخر في الرواية الخليجية هاجساً سردياً وروائياً واضح المعالم؛ إذ لا يخفى ما لهذه المنطقة من علاقات جغرافية ونسيج سكاني مركب وكثير التنوع، والآخر بطبيعته شكّل في الرواية دائما ثيمة دسمة وهي ليست موضوعاً روائياً فحسب، "بل إشكالية حضارية وجد فيها الروائيون مادة غنية للطرح حسب موقفهم من موضوع الآخر وحسب زاوية النظر"(١٩).

وقد اختارت هذه الرواية هنا موقفا ناقداً. ويمكن تصنيف الآخر فيها إلى:

١_ الآخر المختلف مذهبياً

٢_ الآخر المتشدد

٣_ المرأة

أولاً: الآخر المختلف دينياً

لقد تحققت فكرة المغامرة أساساً عبر سؤال عن المسافة بين الأنا والآخر مذهبياً، عبر وجود علاقة حب مع فتاة إيرانية. لم يواجه السرد هنا هذا الآخر بمشاعر الريبة ولكن برغبة الاكتشاف:الشريك الإنساني الذي لا ينتمي لذات الثقافة الدينية عبر تنوع الهوية الصغيرة، وقد كانت هذه مواجهة فكرية حادة استرشد فيها البطل بقدرة عقله على التأمل بعيداً عن روح القطيع أو الجماعة". إن التخييل استطاع، وهو يقترن بجميع الحقول والأشكال التعبيرية، أن يخلق تمثيلات في حياة الإنسان، تنمو داخل الصور والأفكار والنوايا، لذلك فإن كل التمثيلات المتحققة في مجتمع ما، لدى جماعة ما، هي تركيب للتمثلات التي يخلقها الإنسان عن ذاته وما حولها، وعن الآخر وما ينتجه. وكأنما حاجة الإنسان إلى تمثيل نفسه وغيره لأجل امتلاك مواقف وهوية تملأ الفراغ المفترض"(٢٠).

تمثلت تلك العلاقة بعلاقة حب بين يعقوب التاجر الكويتي الستيني وبين فرناز الفتاة الإيرانية الموظفة عنده، وهو تمثيل يحيل إلى ارتباك الصورة وعدم انسجامها في منطق واقعي، وثمة تداخل عبر قدرته هو بوصفه تاجراً وابن البلد، وبين حاجتها هي الفقيرة المقيمة. الآخر هنا لم يكن عدوانياً ابداً، بل كان إلى حد بعيد نزيه النوايا. لكنه لم يكن نداً يمكن احترامه.

ثانياً: الآخر المتشدد

رغم إنه من ذات المذهب لكنه اتخذ من القتل والخراب طريقاً نحو أهدافه التي تخدم اجندات معينة. واجهت هذه الرواية بكثير ممن الوضوح أهم القضايا الراهنة وهي فكرة الإرهاب المرتبط بالتطرف الديني وسبب تكوّنها أو المنبع الحقيقي لها، مشيراً إلى الأساتذة العرب الذين وفدوا على دول الخليج العربي واستطاعوا تطويع المال الخليجي لخدمة أفكار تطرفية هجينة: "أطلعني على صورة في هاتفه، يظهر فيها أحمد بشعره المنفلت، وقد طالت لحيته متوسطاً جماعة من الشباب يرتدون اللباس الأفغاني، وكل يرفع رشاشه وتحتها قرأت: الشيخ المجاهد أبو فتح الكويتي، أمير.... شعرت كان أمعائي تصعد لبلعومي"(٢١).

انتماء احمد ابن يعقوب الأقرب إلى روحه إلى جماعة ارهابية تقاتل في سوريا والعراق: "آه كيف ستخرج من سوريا يا ابني؟ أتساءل، ويهزني الهاجس، أنا وشيخة والأبناء والأحفاد ننعم بالهدوء والسلام وهو وسط التفجيرات والدم"(٢٢).

شكلت هذه العلاقة عقدة مهمة في الرواية؛ إذ ناقش البطل يعقوب من خلال المحنة التي مر بها مع تجربة ولده أثر الفكر الظلامي على العوائل والبيوت، يغامر يعقوب بحياته ويسافر بحثاً عن ابنه، وخلال ذلك السفر يراجع حياته كاملة. ومنها الأسباب التي جعلت من ابنه شخصاً إرهابياً: "لم **يكن الأدب يومًا أكثر انعكاسًا لواقع مجتمع كما هو عليه اليوم، وخصوصًا من بداية العقدين الأخيرين. فإذا كان الأدب**

مرآة المجتمع الذي يستلهم الأديب منه أدوات فنه ليعبر عن إشكالية ما، عن مأساة، أو عن ملهاة، عن ضياع، أو عن حدث ترك بصمة في عمق الضمير الإنساني، والأمثلة على كثرتها. عالمنا العربي الذي انتشر فيه الإرهاب من مشرقه إلى مغربه"[٢٣]؛ لذا جاءت هذه الرواية بصيغة اسئلة هادئة لمناقشة وضع ملتبس شائك ومحزن.

ثالثاً: الآخر المختلف جنسياً(المرأة)

لقد راجع البطل في هذه الرواية يعقوب، علاقته بالمرأة(الحبيبة) والزوجة، وشكلت تلك الوقفات التأملية في هذه المسألة محوراً سردياً واضحاً ومهيمناً؛ لذا تبدو رواية اجتماعية قريبة من الواقع ، واقع الرجل والمرأة في مجتمعنا:"اعتدتُ كل صباح أن أمر على شيخة في غرفتها لحظة خروجي، لألقي عليها "مع السلامة". تعاتبني إن أنا خرجت من البيت دون وداعها. تمنيتها تبقى نائمة.. أكره التأخر عن موعد خروجي اليومي. منذ سنوات وروحي تنفر من طقوس عناق الصباح. تمنيت لو أنها ظلت نائمة، أو انها اكتفت بالكلام من سريرها.. أنا لا أكره شيخة، لكني لا أقدر على احتضانها كل صباح، ومجاراتها في حنو عواطفها، وأحياناً أتساءل لماذا يحدث بيننا ما يحدث؟"[٢٤].

يواصل يعقوب وصف تفاصيل علاقته بزوجته بالتوازي مع الأزمة العاطفية التي داهمته وأدخلته في مفازات علاقة حب لم يجربها من قبل:"إن المرأة كانت وما زالت بمثابة الايقونة التي لا يمكن الاستغناء عنها في الرواية، حيث تناول الروائيون موضوع المرأة في أبعاده المختلفة النصية و الفكرية و الثقافية فوظفوها في صور متعددة"[٢٥].

كانت هذه العلاقات الثلاث مع الآخر هي وسيلة هذه الرواية في تبني مغامرة اجتماعية تقوم على تحدي الأشياء الثابتة والمتكررة وإعادة النظر إلى مجمل الحياة على وفق أسئلة ليست مأمونة الإجابة؛ فهي تبتعد عن ادعاء المعرفة أو الركون إلى اليقين، مغامرة القصد منه الوثوق في ما هو موجود وليس اكتشاف عوالم أخرى.

الخاتمة:

تناول هذا البحث رواية خطف الحبيب للكاتب الكويتي طالب الرفاعي، وقد حاول مقاربتها ضمن منظور الدرسات الثقافية عبر البحث عن مغامرة جديدة، فيها ارتباط مع قيم اجتماعية، يحاول البطل مواجهتها عبر حبكة الرواية التي تفترض علاقة غرامية في سن متأخرة فيما يواجه ولده مشكلة حقيقة تمثلت في انتسابه إلى مجاميع إرهابية.

لم تكن العلاقة بين الرواية والمجتمع مسألة جديدة؛ إذ لطالما كانت إحداهن انعكاساً للأخرى. لكن طريقة العرض والمعالجة في هذه الرواية كانت تعتمد على تخطي حدود الواقع المألوف ومواجهة مغامرة تقوم على محاولة إعادة فهم الأشياء والتعاون معها عبر محورين هما: الذات والآخر. وقد ربطت هذه المغامرة مع الذات الحبكة ضمن خيوط متعددة وهي خيط السفر وخيط العائلة وخيط المشاعر، فيما تمثلت المغامرة مع الآخر عبر المختلف مذهبياً، والمختلف جنسياً، والمتشدد .

الهوامش:

١_خطاب الوعي المؤسلب في الرواية العربيّة **رامي أبو شهاب** ، ٢٠٢٢/٦/٢٠. من موقع فسحة الالكتروني

%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9-%7C-:

٢_ خطف الحبيب ،طالب الرفاعي ، دار المدى للطباعة والنشر ، بغداد ٢٠٢١. ص ٩.

٣_ ينظر:عبد الله إبراهيم علي بدر والمغامرة السردية، جريدة الرياض، ١٢ اكتوبر ٢٠٠٦ ع ١٣٩٨٩.

٤_ المغامرة الجديدة في رواية النجدي، اشراق سامي، مجلة سيبويه، المجلد الثاني، العدد ٢، ٢٠٢١.

٥_ ينظر: فيصل دراج في نظرية الرواية والرواية العربية ، وفيق سليطين، مجلة تبين .

٦_ خطف الحبيب،١١.

٧_ينظر: المغامرة الجديدة في رواية النجدي.

٨_ طالب الرفاعي يطرق أبواب التطرف الديني، كاتيا الطويل من موقع:

https://www.independentarabia.com/node/276221/%D8%AB%D9%82

٩_ ينظر: معجم السرديات محمد القاضي وآخرون، دار محمد علي للنشر، تونس، ٢٠١٠. ص٢٢٦.

١٠_خطف الحبيب، ص ٢٨.

١١_ نفسه،٢٩.

١٢_ مجلة علامات، المونولوج الداخلي في موسم الهجرة إلى الشمال، حسن المودن، ١٧ اغسطس، ٢٠٢٠.

١٣_المصدر نفسه.

١٤_ خطف الحبيب، ص٣٤.

١٥_ خطف الحبيب، ص١١.

١٦_ خطف الحبيب، ص ٥٦.
١٧_ خطف الحبيب، ص١٦٢.
١٨_ خطف الحبيب، ص ٢١٧.
١٩_ تمثلات الآخر في الرواية الجزائرية، سليم بتقه، حوليات جامعة قالمة للعلوم الإنسانية،٢٠١١/١١/٣٠.
٢٠_ تمثلات الآخر في الرواية العربية، نبيل شعيثي، صحيفة ببيان اليوم، ١٢ نوفمبر ٢٠١٠.
٢١_خطف الحبيب،١١.
٢٢_ خطف الحبيب،١٥.
٢٣_ ظاهرة الإرهاب في روايات عربية وغربية، رياض معسعس، صحيفة الشرق الأوسط.
٢٤_ خطف الحبيب،١٢.
٢٥_ صورة المراة في الرواية العربية، رسالة ماجستير، نورة صياد، جامعة غرداية، الجزائر، ٢٠١٩.

المصادر والمراجع:

الرواية:

- خطف الحبيب، طالب الرفاعي، دار المدى للطباعة والنشر، بغداد.

مراجع:

- صورة المرأة في الرواية العربية، رسالة ماجستير، نورة صياد، جامعة غرداية، الجزائر، ٢٠١٩.
- معجم السرديات محمد القاضي وآخرون، دار محمد علي للنشر، تونس ، ٢٠١٠.

دوريات:

- تمثلات الآخر في الرواية العربية، نبيل شعيثي، صحيفة ببيان اليوم، ١٢ نوفمبر، ٢٠١٠.
- ظاهرة الارهاب في روايات عربية وغربية ،رياض معسعس، صحيفة الشرق الأوسط.
- علي بدر والمغامرة السردية عبد الله إبراهيم، جريدة الرياض،١٢ اكتوبر ٢٠٠٦ ع١٣٩٨٩.
- المغامرة الجديدة في رواية النجدي، اشراق سامي، مجلة دراسات الخليج العربي، ٢٠٢١.
- المونولوج الداخلي في موسم الهجرة إلى الشمال، حسن المودن، مجلة علامات، ١٧ أغسطس، ٢٠٢٠.

مواقع الكترونية:

- خطاب الوعي المؤسلب في الرواية العربيّة **رامي أبو شهاب** ، ٢٠٢٢/٦/٢٠. من موقع فسحة الالكتروني .%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9-%7C:
- طالب الرفاعي يطرق ابواب التطرف الديني، كاتيا الطويل من موقع :

.https://www.independentarabia.com/node/276221/%D8%AB%D9%82